حوليات جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله
المجلد 03 – العدد 01 – ذو الحجة 1444/ جوان 2023
ISSN-2773- 3858
EISSN -2992-0973

العلاقات التجارية بين بجاية والإمارات الإيطالية (461هـ_547هـ /1067م _1152م)

Commercial relations between Bejaia and the Italian Emirates (461 – 547 H / 1067 – 1152 J.C.)

أ/ يحياوي قادة بوزيد
المدرسة العليا الأساتذة بوزريعة
yehiabouzid84@gmail.com

تاريخ الارسال:2023/03/22	تاريخ القبول:2023/05/18	تاريخ النشر :2023-06-30

الملخص

عرفت بجاية خلال تاريخها القديم نشاطا تجاريا كبيرا كونها كانت احدى المراكز والمحطات التجارية للفنيقين. فأصبحت همزة وصل بين شرق المتوسط وغربه أما في الفترة الرومانية فعدّت إحدى الولايات الثلاث المهمة لروما لتشهد تراجعا خلال فترة الحكم الوندالي.

أما في الفترة الإسلامية خاصة في العهد الحمادي، عرفت تحضرا وانفتاحا بل أضحت حاضرة لبلاد المغرب الأوسط، فانعكس هذا التطور على نشاطها الاقتصادي الأمر الذي مكنها من نسج علاقات تجارية مع العديد من الأقطار منها الإمارات الإيطالية في شكل جنوة _ البندقية _البيزة _صقلية نتيجة للاستقرار السياسي الذي شهدته بجاية، وتنوع منتجاتها، وكثرة مراسيها هذه الحركية أثرت بشكل كبير في طبيعة العلاقة بين الطرفين بل تعدت الى إقامة جسور ثقافية وعلمية وهدوء في الأوضاع السياسية.

الكلمات المفتاحية: . بجاية . الإمارات الإيطالية . العلاقات التجارية الصادرات . الواردات

Summary

During its ancient history, Bejaia was known for its great commercial activity, as it was one of the commercial centers and stations for the Phoenicians. It became a link between the eastern and western Mediterranean. During the Roman period, it was considered one of the three important states for Rome, witnessing the decline of the Vandal rule.

As for the Islamic period, especially during the Hammadi era, it knew civilization and openness, and even became a metropolis of the countries of the Central Maghreb. This development was reflected in its economic activity, which enabled it to establish trade relations with many countries, including the Italian emirates in the form of Genoa, Venice, Pisa, and Sicily as a result of the political stability that Witnessed by Bejaia, the diversity of its products, and the large number of its anchorages, this movement greatly influenced the nature of the relationship between the two parties, and even went beyond establishing cultural and scientific bridges and calming the political situation.

key words: Bejaia - Italian Emirates - Trade relations - Exports – Imports.

مقدمة

شهدت بجاية في العهد الحمادي نشاطا تجاريا من خلال جهود أمراء أمرائها واهتمامها بالجانب الاقتصادي فموقعها الجغرافي الرابط بين الساحل والصحراء وكثرة موانئها الامر الذي أفضى إلى ان تصبح بجاية سوقا تجارية بامتياز من خلال تنوع المنتجات كلها عوامل أهلتها لإقامة علاقات تجارية مع العديد من الدول المتوسطية وخاصة الإمارات الإيطالية المعروفة بحركتها التجارية فما هي العوامل التي ساعدت بجاية في نهضتها الاقتصادية؟ وما طبيعة المبادلات التجارية بين الطرفين وكيف أثرت الجانب التجاري على مد جسور التفاهم بين الطرفين.

أولا: نبذة تاريخية عن بجاية والإمارات الإيطالية:

1) بجاية:

إنّ الموقع الجغرافي لبجاية التي تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 260 كلم شرقا، ساهم، في وقت مبكر، في التمركز البشري؛ مما يفسر تعاقب الحضارات عليها. فمن العصور القديمة حيث كانت تعرف باسم صلدة ([1]) "Saldae" وهي لازالت تحتفظ بمعالم أثرية فينيقية، الرومانية الوندالية والبيزنطية، متفاوتة الأهمية إلى أن دخلت المنطقة عهدا جديدا مع الفتوحات الإسلامية في القرن الأول للهجرة / القرن السبع الميلادي. ورغم موقع مرفأ صالدة المتميز إلاّ أنّ بجاية لم ترق إلى مصفّ حواضر المغرب العربي إلاّ في القرن 5 هـ / 11 م، أي بعد أن قرر الناصر بن علناس بن حما بن زيري، في حدود 457 هـ / 1064م تأسيس عاصمة جديدة لدولته على الساحل. فصارت إذن مدينة بجاية منذ انتقال الحكم إليها سنة 461 هـ / 1068 م ثاني عاصمة للدولة الحمادية.

أ) إطارها الطبيعي:

بِجَاية بكسر الباء وفتح الجيم ثم ألف وياء مثناة و هاء ([2])، عرفت منذ القديم بعدّة تسميات منها: بغاييث ([3])، صلدة، صلداي، الناصرية ([4])، بجاية وذلك تبعا للمراحل التاريخية التي مرت، بها أطلق عليها الفرنسيون اسم Boujie لعل هذا

---

[1] - صلداي: أسس الفينيقيون مدينة صلدة في موقع بجاية الحالي. أنظر: السيدة عالمة، **نظرة على تاريخ بجاية**، مجلة الأصالة، السنة4 ،1339هـ/ 1974م ، ص87.

[2]- أبو الفدا عماد الدين إسماعيل، **تقويم البلدان**، دار الطباعة السلطانية باريس (د.ت)، ص 136.

[3]- بغاييث: حسب التهجئة البربرية تعني بجاية بنظر: زكي سيدي موسى محمد الشريف، **بجاية الناصرية** (دراسة أوضاع الاجتماعية والفكرية)، تق: محمد الأمين بلغيث، ط1، 2007 ص 247.

[4]- الناصرية: نسبة إلى الأمير الحمادي الناصر بن علناس الذي بناها وسماها باسمه أنظر: سيدي موسى محمد الشريف، المرجع السابق، ص248.

الاسم قد اشتق لشهرة أهلها بتجارة الشمع [5] ويضيف ابن خلدون أن هذه المدينة كانت تسكنها قبيلة بربرية تسمى بجاية أو بقايا [6].

وأما عن موقعها يقول ياقوت الحموي في معجمه: "بجاية مدينة مدن المغرب الأوسط واقعة على الساحل بين افريقية والمغرب [7]، المسافة بينهما وبين الجزائر بني مزغنة أربعة أيام، وبينها وبين القلعة مسير ثلاث أيام [8] رغم الصعوبات فهي على شكل مثلث قاعدته البحر أو الميناء المقابل لجزيرة الأندلس ذات موقع حصين فبجاية القديمة تمتد على شكل مدرج فوق المنحدرات السفلية (لجبل قوراية). أما بجاية الحديثة فتمتد إلى وادي الصومال إلى جبال جرجرة [9].

وأسهبت المصادر الجغرافية (الرحالة) في وصفها فقد قال فيها العبدري: " مدينة بجاية مبدأ الإتقان والنهاية، وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة، برية بحرية.....موضوعة في أسفل جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر..." [10].

ب) تاريخيا:

بجاية تاريخ قديم إذ عدّت احدى المحطات التجارية ذات الصبغة الاقتصادية في العهد الفينيقي وأطلقوا عليها اسم صلداي ونتيجة لموقعها كان دورها تجاري محض، لتحافظ على هذا الدور في الفترة الرومانية بل أصبحت إحدى ولايات

---

[5]- إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص247

[6] - عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذو السلطان الأكبر، ج 6، مر: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1421هـ / 2000م، ص231.

[7] - ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 1 ، دار الصادر بيروت ، د.ت،ص399.

[8] - رابح بونار ، بجاية من خلال بعض الرحالة المسلمين ، مجلة الأصالة ، عدد 19، سنة4 ، 1339هـ/ 1974م ، عدد خاص ببجاية ، ص68.

[9]- إسماعيل العربي، **بجاية من خلال النصوص الغربية**، مجلة الأصالة، العدد 19، سنة41339هـ/ 1974م، عدد خاص ببجاية ، ص 71.

[10]- محمد العبدري البلنسي، **رحلة العبدري**، تح: علي إبراهيم الكردي، تق : شاكر الفحام، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص82.

الرومانية [11]، لتعرف فيما بعد في فترة الوندال تراجعا وهذا راجع ربما إلى طبيعة الوندال أنفسهم وعلاقتهم بالجانب التجاري لتظهر فيما بعد بجاية في العهد الحمادي كحاضرة حيث شهدت تحضرا وانفتاحا واستقرار، يرجع التفكير في بنائها إلى الأمير الحمادي ناصر بن علناس بعد ما كانت عاصمتهم القلعة وهذا راجع إلى عدّت أسباب منها :

- موقعة السبيبة [12]:

- غربي القيروان وانهزام الناصر بن علناس أمام أبناء عمومته وخيانة بعض القبائل العربية وهذا ما يؤكد صاحب الاستبصار [13].
- كما يرى ياقوت الحموي أن سبب بنائها يرجع إلى قصة الصلح بين الناصر الحمادي وتميم بن المعز وخيانة ابن البعبع له [14]، بالمقابل ينفرد ابن خلدون برأيه وإذ ذكر أن الغرض من تأسيسها الخوف من الهلاليين الذين هزموه في موقعة السبيبة [15]، أما ابن الخطيب ذكر أن السبب الحقيقي هو كره الناصر لمجاورة بني حماد نتيجة قتله للأمير السابق بلكين بن حماد [16].

شرع الناصر في بنائها سنة 460 هـ/1067م واجتذب إليها عدد كبير من السكان اذ كان يعفيهم من الضرائب بل كان يجبر الأهالي على السكن بها وفرض على كل من يدخل المدينة أن يجلب معه حجرا أو إن يدفع قطعة ذهب وعند إتمام بنائها أطلق عليها اسم الناصرية وفي عام 461هـ/ 1068م انتقل إليها فأنشأ دارا للصناعة

11- أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص65.

12- السبيبة: مدينة أزلية ذات أنهار وثمار حدثت بها معركة سنة 457هـ / 1064م بين الناصر بن علناس وأبناء عمومته الزيريو. أنظر مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار لوصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ص128.

13 - عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ص187.

14- ابن الخطيب لسان الدين: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، القسم الثالث، من كتاب أعمال الأعلام، تح و تع: أحمد مختار العبادي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص94

15- عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، دار الأمة، ط1، ص365.

16- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة،1411 هـ /1991م، ص82.

والأساطيل حتى صارت عين بني حماد [17] ويعتبر عهد يحي الحمادي (515هـ. 548هـ /1121م. 1152م) قمة ما وصلت إليه بجاية من تطور حضاري [18].

2) الإمارات الإيطالية:

عرفت إيطاليا خلال العصور الوسطى سيطرة الكنيسة على كل نواحي الحياة سواء سياسيا أو فكريا حتى اقتصاديا مع بدايات القرن 05هـ /11م بدأت ملامح التغيير تظهر في خارطة إيطاليا نتيجة عدد مسببات أبرزها الصراع القائم بين الكاثوليك والأرثودكس وتدخل الأباطرة في تعيين بعض الباباوات والصراع القائم بين الكنيسة والإمبراطورية الرومانية المقدسة الأمر الذي أدى إلى ظهور العديد من الوحدات السياسية في إيطاليا متفرقة كل مدينة لها حكومتها الخاصة عرفت فيما بعد بالجمهوريات أو الإمارات الإيطالية [19] وهي:

أ) صقلية:

ضبطها ياقوت الحموي بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء والبعض ينطقها بفتح الصاد واللام والبعض الآخر بالسين أي "سيقلية" [20] أما معناها باللسان القديم فتعني "التين والزيتون" [21] تقع بين ساحل إيطاليا الجنوبي والساحل الفرنسي القريب منها جنوبا حكمها العرب ما يزيد عن قرنين من الزمن نقلوا إليها جوانب من الحضارة الإسلامية حتى أصبحت منارة العلم ومقصدا لطلابه وبعد أن سقطت في يد النورماند لم يزيلوا لها الصبغة العربية وبل حافظوا عليها [22].

---

[17]- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث (من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى)**، دار الفكر العربي، مدينة النصر 1419هـ /1999م، 34.

[18]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص. 416.

[19]- الحميري عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، معجم جغرافي، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت،1975م، ص367.

[20]- عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص. 8.

[21]- المرجع نفسه، ص. 44.

[22]- نور الدين حاطوم **تاريخ العصر الوسيط في أوربة**، ج2، دار الفكر المعاصر، بيروت، (د.ت)، ص569، 570.

ب) البندقية:

إحدى المدن الإيطالية حيث تعد مركزا للطبقة الارستقراطية المحتكرة للسلطة بل تعد نموذجا ناجحا لهذه الطبقة إذ يرجع ذلك إلى تلاحمها في بينها من اجل خدمة الدولة على النمو والازدهار بل وبفضلهم أصبحت مركزا تجاريا مهما [23].

ج) جنوه:

تعد إحدى أقطاب الاقتصادية لإيطاليا تقع في الجهة الشمالية فهي مدينة وميناء بحري إذ يعد ميناؤها الأكبر تجاريا في حوض البحر المتوسط والمنافس القوي للبندقية، برزت كبلدية مستقلة تابعة اسميا للإمبراطور ينتخبهم سنويا مجلس الشعبي ثم صارت احدى الجمهوريات التجارية الروماني ورئيس المدينة كان أسقفا أما السلطة الفعلية فكانت بيد عدد من القناصل ينتخبهم سنويا مجلس شعبي ثم صارت إحدى الجمهوريات البحرية [24].

د) بيزا:

تقع في إقليم توسكانا على مقربة من البحر المتوسط ظهرت كقوة بحرية في حدود القرن 05هـ /11م كإحدى الجمهوريات الأربعة الإيطالية ثم أصبحت مركزا تجاريا هاما لامتلاكها أسطولا تجاريا وحربيا كبيرا، عملت على تقوية العلاقات الاقتصادية مع دول البحر الأبيض المتوسط [25].

ثانيا: عوامل ازدهار التجارة في بجاية الحمادية :

موقعها الجغرافي المطل على البحر المتوسط وتنوع منتجاتها الزراعية والصناعة انعكست بشكل إيجابي على المبادلات التجارية للحماديين نهيا عن سياسة أمرائها

---

[23] - عبد الفتاح عاشور، **حضارة ونظم أوربا في العصر الوسيط**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1976، ص437.

[24] - الإدريسي شريف: **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس قطعة من كتاب نزهة مشتاق في احتراق الآفاق**، مطبع بريل، ليدن،1983م، ص91

[25]- الغربيني أبو العباس، **عنوان الدراسة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة لبجاية**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1982،2م، ص285.

وكثرة موانئها التجارية كل عوامل ساعدت بجاية على نسج علاقات تجارية قوية مع الإمارات الإيطالية

أ) العوامل الطبيعية:

موقعها الإستراتيجي الهام بالمغرب الأوسط إذ كانت مدينة بجاية تتوسط مدن هامة كبونة وقسنطينة والجزائر وقلعة بني حماد هذا الموقع جعلها محطة تجارية هامة وهو ما نستخلصه من قول الإدريسي: "مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بني حماد والسفن إليها مقلعة... وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار الشرق [26]، ونتيجة لتطورها الحضاري جمال طبيعتها تغنى العديد من الشعراء من أمثال الشاعر القسنطيني الحسن بن فكون قائلا:

- ❖ دع العراق وبغداد وشامهما فالناصرية ما إن مثلها بلد
- ❖ بر وبحر وموج للعيون به مسارح بأن عنها الهم والنكد
- ❖ حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمنى والمعيشة الرغد [27].

من خلال هذه الأبيات يعطينا الصورة الخلابة عن جمال هذه المدينة وسحر مناظرها المتنوعة، أما مناخها فيمتاز بالاعتدال صيفا إذ تصل درجة الحرارة ما بين 30° و40° بسبب جبل قوراية الشامخ الذي يحجب المدينة من الرياح الشمالية عكس الجنوب أما في فصل الشتاء فيكثر التساقط مما يجعلها منطقة زراعية غنية بأشجار الزيتون والصفصاف وغيرها [28].

ب) العوامل البشرية: لليد العاملة دور كبير في بروز النشاط الاقتصادي للحماديين خاصة وأنهم اتخذوا من الفلاحة وبعض الصناعات مهنة لهم [29] لكسب قوتهم ومصدر رزقهم مستعينين واحتلت بذلك الظروف الطبيعية وكثرة المواد

---

[26] - إسماعيل العربي، بجاية من خلال النصوص الغربية، المرجع السابق، ص71.

[27]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص. 210.

[28]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص212.

[29] - الإدريسي، المصدر السابف، ص120.

الأولية كما أن الهدوء السياسي للحماديين في معظم الوقت وخلو المشاكل الداخلية والخارجية كان له الأثر الكبير على الانتعاش الاقتصادي، حيث أن سياسة بني حماد قامت إلى حد كبير على أساس البناء والاستقرار([30]).

ج) العوامل الاقتصادية:

1. الفلاحة:

تنوع النشاط الفلاحي في المجتمع الحمادي وتعددت المحاصيل الزراعية حيث برزت بجاية في هذا المجال واحتلت المكانة الأولى كما تحويه من جواد ومزارع فكانت الحنطة والشعير كثيرة بها وكذلك التين كان منه ما يكفي بها لكثير من البلاد بالإضافة إلى زراعة الفواكه والكروم ([31]) فيذكر البكري أنه كانت توجد أنواع متشابهة من المنتوجات التي تعكس حياة اقتصادية نشيطة ([32]) كما قدم القلقشندى وصفا عن الفلاحة في بجاية قائلا :"وبمملكة بجاية الحبوب و القمح والفول و العدس و الحمص و الذرة والسبلا ومن الفواكه العنب و التين والرمان والسفرجل والتفاح والمشمش والتوت والقراصيا والزيتون والأترج والليمون و اللوبيا و الباذنجان ومن الزهور الرياحين والياسمين والنرجس" ([33]).

وعن كثرة محاصيلها وتنوعها لم تذكر المصادر التاريخية عن مجاعة حدثت بهذه المدينة وهذا ما نستنتجه من خلال قول الإدريسي:"وفلاحتهم إذا كثرت أخشت وإذا قلت كفت فأهلها أبدا الدهر شباع " ([34]).

بالإضافة إلى ما ذكره القلقشندى، من مزروعات يضاف إليها النباتات الطبية حشائش الحمى والقنطورني الكبير والأفستين والحضض والبرباسي... وتربية

---

[30]- القلقشندي، صبح الأغشى في صناعة الأنشا، ج5، مطبعة الأميرية، القاهرة (د.ت)، ص. 112.

[31] - الإدريسي، المصدر السابق، ص90.

[32]- البكري، المصدر السابق، ص. 164.

[33]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، 125.

[34]- المرجع نفسه، ص 135.

الحيوانات منها البقر والغنم والخيل والإبل والبغال والنحل بالإضافة إلى صيد السمك والمرجان الذي وجد بكثرة في مرسى الخرز ([35]).

2. الصناعة:

وفرة المواد الأولية ساعدت سكان بجاية في ممارسة عدّة أنواع من الصناعة كوفرة الأخشاب حيث استطاع البجائيون من إنشاء ديار صناعة السفن التجارية والحربية والصناعة المعدنية لوفرة الذهب والفضة والرصاص والحديد ([36]) إذ يذكر الإدريسي: "كان ببجاية دار صناعة الأساطيل والمواكب والسفن و الحرابي ([37]). بالإضافة إلى دار صناعة السفن في بجاية فهناك مركزين آخرين موجودين في مرسى الخرز وبونة ([38]) كما توجد ببجاية صناعات أخرى وهي الصناعات النسيجية المتمثلة خاصة في صناعة العمائم المذهبة إذ تساوي العمامة الواحدة ما بين خمسمائة دينار وستمائة حيث يقول عبد الحليم عويسي نقلا عن مصادره :"....إنه لملوك منهاجة عمائم ذهب تساوي العمامة الخمس مائة دينار كانوا يعممونها بإتقان... ([39])

وعرفت بجاية أيضا بصناعة المطاحن والفخار والخزف لتزيين القصور والمساجد وصناعات أخرى تخص الحياكة والحدادة كلها عوامل ساعدت بجاية في ازدهارها الاقتصادي وهمزة وصل بين المغرب الأوسط والعالم الخارجي.

3. التجارة:

إطلالة بجاية على الواجهة البحرية جعلتها تتميز بخاصية أساسية وهي الوجه الاقتصادي التجاري وطريقا هاما من طرف المواصلات وهذا ما أكده البكري" وهو

---

[35] - الإدريسي، المصدر السابق، ص. 64.

[36]- لقبال موسى، **مميزات بجاية وأهميتها ودورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى**، مجلة الأصالة العدد 19، الجزائر 1974، ص7.

[37]- عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد صفحة رائعة في تاريخ الجزائر**، شركة سوزان للنشر والتوزيع القاهرة، ط1991،2، ص54.

[38]- البكري، المصدر السابق، ص82.

[39]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص130.

مرسى مأمون المشتى" [40] . ويضيف صاحب الاستبصار:"مرسى عظيمة تحط فيه السفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين ،وغيرها [41].

ونظرا لكثرة منتجاتهم أقام الحماديون علاقات تجارية وطيدة مع العديد من الشعوب ومنها الممالك الإيطالية، فعلى الرغم من الغارات التي تقوم بها سفنهم الحربية على بونة و بجاية إلا أن هذا لم يوقف العلاقات التجارية الوثيقة بين الطرفين من خلال إبرام عدّة معاهدات تجارية [42].

(د) دور الموانئ في تحريك التجارة البحرية لبجاية:

تعد المراسي المغرب الأوسط شريان النشاط الاقتصادي فقد احتوت بجاية الحمادية عدّة مراسي وهذا ما أكدّه جملة من الرحالة الجغرافيون.

- **مرسى الخرز** : في أصل مدينة و مرسى " القالة حاليا" يقع شرق مدينة بونة يذكر البكري مدينة الخرز بقوله :"وهي مدينة أحاط بها البحر إلا مسلك لطيفار بما قطعه البحر في الشتاء عليها سور وبها سوق عامرة وقد صنع بها مدفأ للسفن منذ مدّة قريبة...." [43] وعند الدور التجاري الذي قدمه هذا المرسى يذكر الإدريسي: " مدينة صغيرة عليها سور حصين ولها قصبة وحولها عرب كثير وعمارة أهلها لها على الصعيد المرجان..." [44] وبسبب تواجد المرجان بها تعرضت للعديد من عمليات النهب خاصة من طرف الجنوبيين
- **مرسى بجاية:** يصفه صاحب الاستبصار بقوله" ...ولها واران الصناعة المراكب وإنشاء السفن ومنها تغزا بلاد الروم..." [45] ساهم بشكل كبير في تنشيط التجارة

40- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص227.
41 - البكري المصدر السابق، ص141.
42 - الإدريسي، المصدر السابق، ص191
43- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص130.
44- البكري المصدر السابق، ص172.
45- الإدريسي، المصدر السابق، ص269.

البحرية خاصة بين الإمارات الإيطالية والأندلس وهذا ما ذكره البكري "مرسى مدينة بجاية أولية أهلة عامرة بأهل الأندلس وبشر فيها نهر كبير تدخله السفن المحملة ([46]).

- **مرسى جيجل:** يذكر الإدريسي أن مدينة جيجل بها مرسيان وأحد في جنوبها وهو وعر والآخر في أشكالها ويسمى مرسى الشعراء ساكن الحركة وحسن الإرساء لكنه لا يتسع للكثير من السفن لصغره ([47]) أما حسن الوزان عنه:" ويكثر أيضا في جيجل الجوز والتين ويحملان إلى تونس في سفن صغيرة..... ([48]).
- **مرسى بونة:** ويسمى أيضا مرسى الأزقاق إذ يصفه البكري بأنه مرسى منيع ويقول فيه"...وصف مرسى بونة تخرج الشواني غازية بلاد الروم" ([49]).
- **مرسى الزيتونة:** ذكره باختصار ياقوت الحموي فقال: "مرسى الزيتونة من نواحي افريقية بينه وبين ميلة يوم واحد ([50]) ويكتفي البكري بقوله :"مرسى الزيتونة وهو جبل جيجل" ([51]) .

ثالثا:طبيعة المبادلات التجارية بين بجاية والإمارات الإيطالية:

تنوع النشاط الاقتصادي لبجاية وموقعها الوسط بين المناطق الصحراوية والجنوب الأوربي سمح لها بإقامة علاقات تجارية مع الإمارات إيطالية فما طبيعة هذا النشاط.

أ) الصادرات:

أقام الحماديون علاقات تجارية مع الإمارات الإيطالية حيث تم عقد عدّة معاهدات تجارية وثيقة بين مدنها وبين بجاية نتيجة للتطور الاقتصادي الذي

---

[46]- حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط 2 1983، ص52.

[47]- البكري، المصدر السابق، ص127.

[48]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج5، ص.107.

[49]- البكري، المصدر السابق، ص172.

[50]- الإدريسي، المصدر السابق، 274.

[51]- مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص127.

عرفته كل من جنوة و بيزا ([52]) وما يؤكد تلك العلاقة هو وجود الجنوبيين في بجاية ابتداءً من 546هـ ومن ذلك عقد مؤرخ في 1123م أشار إلى نقل 53 قطعة من الجلد إلى المدن الإيطالية ([53]) كما أبرم الناصر بن علناس معاهدة بيزا بالإضافة إلى 202 وثيقة مع جنوة تعود إلى 6هـ و7هـ / 12م و13م حيث تحتوي 91 عقدا تبحث عن الاستثمار في النسيج لاحتواء بجاية مناطق الكتان والقطن والصوف التي كانت تصدر إلى أوربا بكميات كبيرة ([54]).

ومن المنتجات التي كانت تصدر أيضا الخيول العربية والبربرية والسمك المقدد والجلود المدبوغة ومادة الشمع التي كانت بجاية تمد به أوربا ومنها اشتق اسمها الفرنسي، كما وجدت وثائق سمحت بمعرفة ما كانت تصدره بجاية من زيت الزيتون والحبوب والتمر والفستق واللوز والتين المجفف والزبيب كما كانت بجاية همزة وصل بين التجارة الصحراوية وأوربا خاصة في تجارة العبيد والذهب ([55]) .

ب) الواردات:

من المنتجات التي كانت تصل إلى ميناء بجاية النسيج الأوربي وبعض التوابل الشرقية التي كانت تعبر موانئ إيطاليا وعندما أراد الناصر بن علناس تجديد وتوسيع بجاية جلب المهندسين والصناع ووسائل البناء من أنحاء البلاد خاصة صقلية التي كانت تتوفر على الزئبق والحديد والرصاص والأصباغ والديباج ([56])، ولصناعة السفن تم جلب الخشب الخام والألواح من البندقية التي كانت تغطيها مساحات شاسعة من الغابات ([57]).

---

[52]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص227.

[53]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص243.

[54]- عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص240.

[55]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص301.

[56]- مرجع نفسه، ص304.

[57]- الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م**، تر: حمادي ساحلي، ج2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992م، ص297

رابعا: أثر التجارة على طبيعة العلاقة بين بجاية والإمارات لإيطاليا:

عرف العصر الوسيط تأسيس دولة وجمهوريات في الحوض الغربي للمتوسط كل واحدة تريد فرض سيطرتها على الأخرى مما أدى إلى حدوث صراعات عسكرية لكن المفارق أن التجارة في غالب الأحيان لم تتوقف كما هو الشأن بين الحماديين والإمارات الإيطالية بل انعكس إيجابا على ميادين أخرى ثقافية سياسية.

1. **العلاقات السياسية والدينية:**

أقام الناصر بن علناس علاقات ودية مع البابا "جريجوري السابع" ومدى الساحل الإيطالي سمحت إقامة أسقفية في بونة وتترك للنصارى بها حرية انتخاب أسقفهم يدعى "سرفاند ([58]) حمله رسالة ودية إلى البابا وهدايا جليلة، كما قام بشراء جميع الأسرى المسيحيين الذين عثر عليهم بمملكته ([59]) ليرد البابا برسالة إلى الناصر بن علناس مؤرخة بتاريخ 469هـ / 1076م تدل على ما يكنه البابا من تقدير واحتراما له ([60]).

لم تشهد علاقات بين الطرفين أي توتر حيث يذكر ابن الأثير أن العزيز ابن منصور سمح بانشاء كنيسة بالقلعة سنة 508هـ /1114م عرفت باسم كنيسة مريم العذراء وكان كاهنها يسمى "عزون" ([61]) ويمكن وصف حياة المسيحيين تحت إمرة الحماديين بما ذكره مبارك ميلي قائلا: "كان لباباوات رومة علائق مع الحماديين مع الحماديين خصوصا أشهرهم الناصر ويلقبونه بملك موريطانيا السطيفية ([62]).

---

[58]- صالح يوسف بن قربة، **تاريخ مدينتي مسيلة والقلعة بني حماد العصر الإسلامي**، منشورات الحضارة، (د.ت)، ص131.

[59]- مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج 3، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007م، ص 780.

[60]- المرجع نفسه، ص 781.

[61] - إبن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج9، دار الصادر، بيروت، 1986م، ص147.

[62]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص779.

2. **العلاقات الثقافية:**

بلغت بجاية مكانة علمية مرموقة بفضل مؤسساتها التعليمية، فتوافد عليها طلاب العلم والمعرفة من كل أصقاع ومنهم الإيطاليون حيث يذكر صالح يوسف بن قربة نقلا من مصادره البابا الفاتيكان جورج السابع ارسل رسالة الى الناصر يطلب منه السماح لعملاء إيطاليا الاستفادة من أعلام بجاية، حيث وفد إلى المدسنة ليوناردو دافينشي وأخذ دروسا في نظام الترقيم وطرق الحساب والتقنيات التجارية ([63]).

ومن الشعراء الذين وفدو إلى بجاية ابن حمديس الصيقيلي الذي ولد 447هـ/ 1055م له ديوان شعري مدح في بعض قصائده الأمير الحمادي المنصور بن علناس ووصف ابضا الطبيعة والحيوانات وغيرها من مظاهر التي استهوته ([64]).

خاتمة:

نجح الحماديون في بجاية من يوفروا الأمن الهدوء اذ أصبح المجتمع الحمادي في فترة مليئة بالأحداث من أكثر المجتمعات رفاهية ورخاء نتيجة تظافر عدّة جهود بالإضافة إلى الجانب السياسي شكل الاقتصاد شريان الدّولة. نتيجة توفر المواد الأولية والأراضي الزراعية ناهيك عن كثرة المراسي التي ساهمت في تنشيط التجارة البحرية خصوصا بين بجاية والإمارات الإيطالية.

موقع بيجاية الرابط بين أوربا والمناطق الصحراوية أهلها أن تكون محطة تجارية بإمتياز مع الإمارات الإيطالية ذات نشاط البحري من خلال ابرام عدّة إتفاقيات التجارية مع بجاية.

النشاط التجاري كان في غالب الأحيان البديل الناجح في امتصاص الصراعات ما بين الاقطاع وهذا ما عرفته علاقات بجاية والإمارات الإيطالية خاصة في الميدانين السياسي والثقافي باعتبار أن بجاية كانت حاضرة من حواضر الإسلامية المعروفة بالعلم والمعرفة.

---

[63]- صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص185.

[64]- المرجع نفسه، 186.

المصادر والمراجع :

1 – أبو الفدا عماد الدين إسماعيل، **تقويم البلدان**، دار الطباعة السلطانية باريس (د.ت).

2 - ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج9، دار الصادر، بيروت، 1986م.

3 – ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذو السلطان الأكبر، ج 6، مر: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1421هـ / 2000م،

4 - بن قربة صالح يوسف، **تاريخ مدينتي مسيلة والقلعة بني حماد العصر الإسلامي**، منشورات الحضارة، (د.ت).

5 – أبو عبيد البكري، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

6 - الحميري عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، معجم جغرافي، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت،1975م،

7 - عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، دار الأمة، ط

8 - العبدري البلنسي محمد ، **رحلة العبدري**، تح: علي إبراهيم الكردي، تق : شاكر الفحام، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006.

9 – العربي إسماعيل، **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م،

10 - عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد صفحة رائعة في تاريخ الجزائر**، شركة سوزان للنشر والتوزيع القاهرة، ط 2، 1991.

11 - الشريف زكي سيدي موسى محمد، **بجاية الناصرية** (دراسة أوضاع الاجتماعية والفكرية)، تق: محمد الأمين بلغيث، ط1، 2007.

مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج 3، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007م.

12 - الوزان حسن ، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط 2 ، 1983.

13 - مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار لوصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق.

مقالات:

1 - رابح بونار، **بجاية من خلال بعض الرحالة المسلمين** ، مجلة الأصالة ، عدد 19، سنة4 ، 1339هـ/ 1974م، عدد خاص ببجاية ،

2 - السيدة عالمة، **نظرة على تاريخ بجاية**، مجلة الأصالة، السنة4 ،1339هـ/ 1974م .

3 - العربي إسماعيل، **بجاية من خلال النصوص الغربية**، مجلة الأصالة، العدد 19، سنة41339هـ/ 1974م، عدد خاص ببجاية

4 - لقبال موسى، **مميزات بجاية وأهميتها ودورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى**، مجلة الأصالة العدد 19، الجزائر1974.

معجم :

ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 1 ، دار الصادر بيروت ، د.ت.